مجلة وادى النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية

أسلوب السرد النفسي في الرواية العربية المعاصرة

(رواية يوتوبيا للكاتب أحمد خالد توفيق نموذجا)

د. شيماء محمد حمدي حسن

مدرس الأدب الحديث– كلية الآداب– جامعة السويس

المستخلص:

سعى البحث إلى الكشف عن أسلوب السرد النفسي في رواية (يوتوبيا) للكاتب أحمد خالد توفيق، وذلك بالولوج إلى النص الروائي؛ بغية الإفصاح عن العالم الداخلي للشخصيات، وما يكمن فيه من رغبات وأفكار ومشاعر وصراعات داخلية، وقد اختار البحث هذه الرواية؛ لتنوع أساليب السرد النفسي فيها، بشكل يُمكّن من استنطاق العوالم الداخلية على مستوى الوعي واللاوعي، لذا فقد اعتمد البحث على المنهج النفسي؛ لأن طبيعة الموضوع تتخذ منحىً نفسيا، بالإضافة إلى الإفادة من علم السرد ومقولاته، التي تفيد في تحليل النسيج الروائي، مع الاقتراب من النص الروائي من خلال الوصف والتحليل؛ للكشف عن البواعث النفسية وخفايا العالم الداخلي، وقد اقتضى ذلك الإجابة على عدد من التساؤلات، منها: كيف وظف العالم الروائي السرد النفسي وآلياته في الكشف عن أعماق الشخصيات؟ وكيف استطاع السرد النفسي إعادة إنتاج النص الروائي؟، ومن ثَمَّ فقد انقسم البحث إلى مقدمة ومدخل نظري، تناول الحديث عن الرواية العربية واتصالها بالعلوم الإنسانية المختلفة، التي أتاحت لها بناء أساليب سردية جديدة، ومنها أسلوب السرد النفسي، ثم تطرق البحث إلى الحديث عن السرد النفسي، تعريفه، وسماته، وأساليبه، ثم تناول الإطار التطبيقي أساليب السرد النفسي في رواية (يوتوبيا)، ورؤية كيفية تشكلها في النسيج الروائي، بما تنطوي عليه من أفكار وصراعات داخلية، وقد انتهى البحث بخاتمة، تضم أهم النتائج التي توصل إليها، ومنها: أن السرد النفسي بأساليبه المتعددة منح حيزا كبيرا للشخصيات

(ISSN: 2536- 9555)

الروائية، واستطاع استنطاقها، بما لم تجهر به أو ما لم تصرح به، من أزمات وصراعات داخلية، أسهمت في بناء النسيج الروائي.

الكلمات المفتاحية: السرد النفسي، الأسلوب اللفظي، الأسلوب غير اللفظي، يوتوبيا، أحمد خالد توفيق

Psychological narrative style in contemporary Arabic novel

(The novel Utopia by Ahmed Khaled Tawfiq is an example)

Dr.Shaimaa Mohammed Hamdy Hassan
Lecturer of modern literature, Faculty of Arts, Suez University

Abstract:

The research sought to reveal the psychological narration style in the novel (Utopia) by the writer Ahmed Khaled Tawfiq, by accessing the fictional text. In order to reveal the inner world of the characters, and the desires, thoughts, feelings, and internal conflicts that lie within it, the research chose this novel; Due to the diversity of psychological narration methods in it, in a way that enables the interrogation of inner worlds at the conscious and subconscious levels, the research therefore relied on the psychological approach. Because the nature of the topic takes a psychological turn, in addition to benefiting from the science of narration and its categories, which are useful in analyzing the narrative fabric, while approaching the fictional text through description and analysis. To reveal the psychological motives and secrets of the inner world This required answering a number of questions, including: How did the novelist employ psychological narration and its mechanisms to reveal the depths of characters? How was psychological narration able to reproduce the fictional text? Therefore, the research was divided into an introduction and a theoretical introduction, which dealt with talking about the Arabic novel and its connection with the various human sciences, which allowed it to build new narrative methods, including the

psychological narration method. Then the research touched on talking about narration. Psychological, its definition, characteristics, and methods. Then the applied framework dealt with the methods of psychological narration in the novel (Utopia). And seeing how it is formed in the narrative fabric, with the ideas and internal conflicts it entails. The research ended with a conclusion, which includes the most important findings it reached, including: The psychological narrative, with its multiple methods, gave a great deal of space to the fictional characters, and was able to interrogate them, with what they did not say publicly or what they did not say. It reveals internal crises and conflicts that contributed to building the narrative fabric.

Keywords: psychological narration, verbal method, non-verbal method, utopia, Ahmed Khaled Tawfiq.

مقدمة

تعد الرواية العربية من أكثر الأنواع الأدبية التي تسعى جاهدة للاتصال بالعلوم الإنسانية المختلفة، كالاجتماع والفلسفة والتاريخ وعلم النفس وغيرها من العلوم؛ بغية بناء نصوصها الروائية من خلال التواصل القائم بينها وبين هذه العلوم، والإفادة منها في بناء عوالم نصية ثرية بالدلالات.

ومن ثمار اتصال الرواية بعلم النفس، تجلى الاهتمام باستنطاق العالم الداخلي للشخصيات الروائية، والكشف عن رغباتها المكبوتة ومشاعرها وصراعاتها الداخلية، التي لا يمكن لها أن تظهر إلا من خلال الغوص في العالم الداخلي للشخصية.

وقد أدى التواصل بين الرواية وعلم النفس إلى ظهور أساليب سردية جديدة، تفيد في بناء العمل الروائي، فظهر أسلوب السرد النفسي؛ ليكشف عن العالم الداخلي للشخصيات، الذي لا تفصح عنه ولا تجهر به، ليأتي دور السرد النفسي لمساعدة الشخصيات في الإفصاح عما بداخلها، من خلال حوارها مع ذاتها، أو

(ISSN: 2536- 9555)

من خلال تلك الحالات الذهنية التي تتجلى في مواقفها المختلفة دون قصد أو وعي.

فقد ركزت النصوص الروائية في القرن التاسع عشر على الغوص في أعماق الشخصية؛ مما دعا الرواية إلى الإفادة من اتجاهات التحليل النفسي؛ للكشف عن الحالات النفسية التي تستقر في أعماق الشخصية ولا تفصح عنها بوضوح، فكان لزاما على الرواية الولوج إلى عالمها الداخلي؛ لرؤيتها من الداخل في حالات وعيها وحالات لاوعيها أيضا؛ للكشف عن أزماتها ومعاناتها الداخلية الخفية التي تستقر في العمق.

من هنا بدأت الرواية تهتم بحوار الشخصية مع ذاتها، وكيفية تشكله سواء اعتمدت في نقله على الشخصية بشكل مباشر أو جعلت الراوي يتولى أمرها ليُفصح عما بداخلها، كما حاولت رؤية الحالات الذهنية التي تسيطر على الشخصية؛ رغبة في التنفيس عما بداخلها، وخروج اللاوعي في صورة أحلام أو أحلام يقظة أو غيرها من الصور الذهنية التي تتجلى فيها الانفعالات كحالات الهيستريا والذهول والهذيان العقلي.

وقد سعت الرواية الحديثة إلى توظيف أسلوب السرد النفسي توظيفاً واسعاً، ومن أبرز الروايات العربية التي وظفت هذا الأسلوب، وحرصت على استنطاق الشخصية الروائية، رواية (يوتوبيا) للكاتب أحمد خالد توفيق، التي اختارها البحث لرصد أساليب السرد النفسي وكيفية تَشكّلها في النص الروائي.

انطلاقا من ذلك سعى البحث إلى دراسة أساليب السرد النفسي في رواية (يوتوبيا) للكاتب أحمد خالد توفيق؛ لتسليط الضوء على ملامح الأسلوبين اللفظي وغير اللفظي؛ رغبة في استنطاق العوالم الداخلية ورصد تلك الأساليب ومعرفة دورها في بناء النص الروائي.

وقد اختار البحث رواية (يوتوبيا) للكاتب (أحمد خالد توفيق)، لأسباب عدة، هى:

- قدرة الرواية على اقتحام أعماق الشخصيات؛ والكشف عما يدور بداخلها من صراعات ورغبات مكبوتة وهواجس، لبناء عالمها الروائي.

- إن الرواية من بدايتها تعطي إشارات لعالم من المتناقضات، يتضح ذلك في عناوينها الفرعية التي تتحرك بين (الصياد، والفريسة) في حركة دائرية، لتكشف عن عالمين متناقضين بأحداثهما وشخصياتهما، كما أن استشرافها للمستقبل، يجعلها تضع نفسها في حيز خاص بها، وبالتالي فالوصول إلى ما يعتلج عوالم شخصياتها الداخلي ورسمه في بنائها السردي سيخلق نصا ثريا بالدلالات النفسية.
- تنوع أساليب السرد النفسي في الرواية بشكل يُمكّن من استنطاق العوالم الداخلية على مستوى الوعي واللاوعي.
- مرونة اللغة في الولوج إلى أعماق الشخصيات؛ بغرض استنطاق عوالمها الداخلية وتشكيل بنية تخيلية تكشف عن التمازج بينها وبين العوالم النفسية الداخلية.

وفي ضوء ذلك حاول البحث الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما أساليب السرد النفسي التي وظفتها الرواية؟
- كيف وظف العالم الروائي السرد النفسي وآلياته في الكشف عن أعماق الشخصيات؟
- كيف استطاع السرد النفسي إعادة إنتاج النص الروائي؟
- هل أسهم السرد النفسي في رسم بنية إبداعية وحبكة جمالية للعالم الروائي؟
- ما الدور الذي قامت به اللغة في تشكيل العالم الداخلي والصراعات الكامنة في النص الروائي؟

ولأن موضوع البحث يدور حول أسلوب السرد النفسي ويأخذ منحىً نفسيا، فقد استند البحث إلى المنهج النفسي، بالإضافة إلى الإفادة من علم السرد ومقولاته، التي تفيد في تحليل النص، مع الاقتراب من النص الروائي من خلال الوصف والتحليل؛ بغرض الوقوف على ملامح الأسلوبين اللفظي وغير اللفظي كدلالات للسرد النفسي للكشف عن البواعث النفسية وخفايا العالم الداخلي في النص الروائي.

(ISSN: 2536- 9555)

وانطلاقا من ذلك انقسم البحث إلى مدخل نظري تناول الحديث عن الرواية العربية واتصالها بالعلوم الإنسانية المختلفة، التي أتاحت لها بناء أساليب سردية جديدة، ومنها أسلوب السرد النفسي، ثم تطرق البحث إلى الحديث عن السرد النفسي، تعريفه وسماته وأنواعه، ثم تناول الجانب التطبيقي أساليب السرد النفسي في رواية (يوتوبيا) للكاتب أحمد خالد توفيق، ورؤية كيفية تشكلها في النسيج الروائي، بما تنطوي عليه من أفكار وصراعات داخلية.

ولتقديم ملخص عن رواية (يوتوبيا)، فإن أول ما يقابلنا هو عنوانها (يوتوبيا) ومن الجدير بالذكر أن أول من استخدم هذه الكلمة هو الفيلسوف والمفكر البريطاني (توماس مور)، الذي كتب كتابا بعنوان (يوتوبيا)، ونشره باللغة اللاتينية عام ١٥١٦، وهو يروي التقاليد السياسية والأعراف الدينية والاجتماعية لجزيرة معزولة وغير معروفة[١].

واستمرت بعدها الكتابات حول اليوتوبيا في كثير من الأعمال، ليأتي الكاتب **(أحمد خالد توفيق)**[٢] في عام ٢٠٠٨ م، وينشر رواية (يوتوبيا)، التي يستشرف فيها المستقبل، ليتحدث عن مصر في عام ٢٠٢٣م.

أما عن الرواية فهى تدور حول مدينة مُتخيلة، تقع في الساحل الشمالي من مصر، بناها الأغنياء؛ لينفصلوا فيها عن غيرهم من البشر، وقد توفرت لهم أسباب الرفاهية جميعها، لدرجة وصلت حدّ التدني الأخلاقي، وفي هذا الوقت انقسم المجتمع المصري إلى سكان يوتوبيا الأغنياء وطبقة الأغيار وهم الفقراء المُعدمين الذين يعيشون خارج حدود يوتوبيا.

---

[١] يُنظر: عطيات أبو السعود: (الأمل واليوتوبيا في فلسفة أرنست بلوخ)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ٣٥٢، ٣٥٣.

[٢] الكاتب أحمد خالد توفيق: أستاذ جامعي وطبيب وكاتب مصري، يعد أول كاتب عربي في مجال أدب الرعب، لُقّب بـ(العرّاب)، كتب في مجال الفانتازيا والخيال العلمي، أصدر مجموعة من الروايات، منها (يوتوبيا) الصادرة ٢٠٠٨م، (السنجة) الصادرة عام ٢٠١٢م، (مثل إيكاروس) ٢٠١٥م، ثم (في ممر الفئران) ٢٠١٦م، وغيرها من المؤلفات.

وتدور أحداث الرواية بدءا من استشراف المستقبل، الذي تخيله الكاتب بعد تحليله للظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ورغم اختلاف عالم اليوتوبيا عن عالم الأغيار، إلا أن الوضع المأسوي قد استولى عليهما، حيث انتشار القتل والاغتصاب وتعاطي العقاقير. وإن كان شيوع كل هذه الجرائم في عالم الأغيار بسبب الفقر والإحساس بالضياع، إلا أن انتشارها في عالم اليوتوبيا؛ كان بسبب الإحساس بالملل من الرفاهية في العيش، مما جعلهم يحاولون الخروج عن المألوف بارتكاب هذه الجرائم، بل واعتيادها مع الوقت، لذا فقد لجأ الأغنياء لتعاطي العقاقير المخدرة طوال الوقت؛ لتبديد الملل، أو الخروج للصيد أيضا، وإن كان الصيد يختلف في يوتوبيا عن غيرها، فقد كانت فريستهم الأغيار، حيث يذهب الشباب في مغامرة لاصطياد فريستهم من عالم الأغيار، ثم الرجوع إلى يوتوبيا، بعد أخذ تذكار من الفريسة، سواء يد أو قدم، ثم يقوم بتحنيطها مع الاحتفاظ بها.

وفي هذا العالم المأسوي الذي كشفت عنه الرواية، حاول البحث إضاءة العوالم الداخلية للشخصيات والكشف عن السبب في أفعالها المضطربة، سواء ارتكبتها الشخصيات بوعي منها أو بدون وعي.

مدخل نظري

بدأت الرواية تأخذ مكانها بين الأجناس الأدبية مع بداية القرن العشرين، وقد حاولت الحفاظ على هذه المكانة بتواصلها مع العلوم الإنسانية المختلفة، كالتاريخ والاجتماع والفلسفة وعلم النفس؛ وذلك بما تمتلكه من رغبة مستمرة في الانفتاح، ورفضٍ لتكريسها في شكل فني معين، مما جعلها في حيوية مستمرة ونشاط دائم[٣]؛ لذا فقد لجأت إلى هذه العلوم؛ رغبة في الإفادة منها لإنتاج نصوصها الروائية، وقد "أثمر اتصالها بهذه العلوم إلى ظهور أنواع من الروايات، تحمل أثر

[٣] يُنظر: باختين: (الملحمة والرواية– دراسة الرواية مسائل في المنهجية)، ط١، ت: جمال شحيد، معهد الإنماء العربي، بيروت– ١٩٨٢م، ص١١.

(ISSN: 2536- 9555)

تلك العلوم ومسمياتها أو تبحث في ميادينها كـ (الرواية الاجتماعية، والرواية النفسية، والرواية التاريخية، والرواية الفلسفية)"[٤].

وقد تناولت الرواية النفسية الأفكار الكامنة المخبوءة في ذهن الشخصية، بالإضافة إلى أنها قدمت الأحداث، لا وفقاً لتسلسلها الزمنيّ، ولكنْ كما تتداعى في ذهن الشخصية، فهي عمل خيالي تكون فيه أفكار ومشاعر ودوافع الشخصيات ذات أهمية، تكاد تتساوي أو تفوق رسم الملامح الخارجية للشخصيات في السرد[٥].

من هنا انفتحت الرواية على العالم الداخلي للشخصيات؛ رغبة في الإفصاح عن المشاعر والأفكار والصراعات الداخلية التي تعانيها الشخصية، وذلك لما "تتميز به الشخصية الروائية بكونها ذات محتوى سيكولوجي خصب ومعقد معا، فهى تُحمّل بالتوترات والانفعالات النفسية التي تغذيها دوافع داخلية، نلمس أثرها فيما تمارسه من سلوك وما تقوم به من أفعال"[٦].

وقد بنى عددٌ من الروائيين العالميين رواياتهم على الأسلوب السردي الذي تظهر فيه الأبعاد النفسية لشخصياتهم الروائية، كرواية) مدام بوفاري) لـ "فلوبير"، ورواية (الصخب والعنف) لـ "فوكنر"، كما وظف هذا السرد كثيرٌ من الروائيين العرب؛ إذ عالجت رواياتهم هموماً واقعية تكشف عن تصورات وهواجس نفسية في

---

[٤] ليون ايدل: (القصة السايكولوجية– دراسة في علاقة علم النفس بفن القصة)، ت: محمود السمرة، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٥٩م، ص ٥٧.

[5] UKEssays. (November 2018). Psychological Novel in English Literature | Essay. Retrieved from https://www.ukessays.com/essays/arts/a-psychological-novel.php?vref=1.

[٦] حسن بحراوي: (بنية الشكل الروائي– الفضاء– الزمن الشخصية)، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٣٠٢.

شخصياتهم الروائية[٧]، مما يؤكد أهمية الدور الذي تقوم به الأبعاد النفسية في رسم النسيج الروائي.

ولما كانت العلاقة وثيقة بين الرواية وعلم النفس، فقد سعت الاتجاهات الغربية إلى بناء أساليب جديدة، تفيد في نسج العالم الروائي، ولما كانت الشخصية تتمتع بمكانة كبيرة في الرواية، فقد كانت الحاجة مُلحّة إلى أن تُمنح الشخصية مساحتها الخاصة للتعبير عما يجوب بداخلها من مشاعر وصراعات وأفكار، لذا فقد حاولت الرواية بناء أساليب سردية جديدة، تمتلك القدرة على صياغة تلك المشاعر والأفكار، ومن هذه الأساليب: أسلوب السرد النفسي، الذي يُعرّف بأنه: خطاب الراوي عن الحياة الداخلية لشخصية ما، وتمثيل هذه الحياة في القص، وهو لا يعتمد ملفوظات الشخصية[٨].

فأسلوب السرد النفسي يولي الراوي دورا رئيسا في الإفصاح عن الحياة الداخلية للشخصيات في الرواية؛ لعجز الشخصية عن القيام بهذا الدور، في الغالب، لما يمثله عالمها الداخلي من صراعات وأفكار ومشاعر متضاربة، قد تأبى الشخصية الإفصاح عنها.

وتعد الناقدة الهولندية (دوريت كوهن) أول من صاغت هذا المصطلح في كتاب (الأذهان الشفافة)، عام ١٩٧٨م، إذ ضمنت كتابها تصنيفا ضم ثلاثة أنماط خطابية هي:(السرد النفسي، والمونولوج المسرود، والمونولوج المنقول) مثّلت من خلالها الحياة الداخلية النفسية للشخصية الروائية، وخصوصية خطابها الداخلي،

---

[٧] ينظر: رباب هاشم حسين: (الأبعاد النفسية في رواية (ذاكرة المدارات) لناصره السعدون) دراسة في ضوء المنهج النفسي، المؤتمر العلمي السادس والعشرين للعلوم الإنسانية والتربوية/ كلية التربية/ الجامعة المستنصرية، العراق، مايو ٢٠٢٣م، ص ٤٦٦.

[٨] ينظر: محمد القاضي وآخرون:(معجم السرديات)، ط١، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، دار الفارابي، لبنان، ٢٠١٠م، ص٣٣١.

(ISSN: 2536- 9555)

فقد جعلت السرد النفسي أول هذه الأنماط، ووصفته بأنه خطاب الراوي عن الحياة الباطنية للشخصية[٩].

ومن النقاد الذين أشاروا إلى أسلوب السرد النفسي أيضا الناقد (بان ما نفريد)، والذي أكد أن هذا الأسلوب ظهر بعد ما أصبح "عرض العمليات العقلية للشخصيات وأفكارها وإدراكاتها الحسية وذكرياتها وأحلامها وانفعالاتها يشكل تحديا للروائيين في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين"[١٠].

وانطلاقا من ذلك فأسلوب السرد النفسي يركز على رغبات ومشاعر وأفكار الشخصيات، التي تعكس حالاتها المختلفة وتكشف عن أزماتها وصراعاتها الداخلية، وقد يتم ذلك في الرواية بواسطة الراوي أو بواسطة الشخصية ذاتها في حوارها المباشر عن نفسها، أو من خلال ردود أفعال وانفعال الشخصية بالأحداث من حولها، وما ينتج عنه من حالات نفسية مضطربة تبدو واضحة على سلوكيات الشخصية.

ويتميز السرد النفسي في التعبير عن الحياة الداخلية "بأن صياغته الخطابية ليست رهينة قدرة الشخصية على التلفيظ، فهو يمكِّن من ترتيب الأفكار الواعية للشخصية وتفسيرها"[١١].

كما ينهض بوظائف منها "قدرته، في حالة سرد الرؤى والأحلام، على سبر أعماق المناطق الأشد ظلمة في الحياة الذهنية، ومنها قدرته على تكثيف المسارات النفسية الممتدة في الزمن وعلى تضخيم لحظات معزولة من الحياة الداخلية"[١٢].

---

[٩] ينظر: نور الدين درموش: (النص الروائي من الداخل– مقاربة تلفظية)، عالم الكتب الحديث، أربد– الأردن،٢٠١٤م، ص: ٣٢. وينظر أيضا محمد القاضي: (معجم السرديات)، ص٣٣١.

[١٠] بان ما نفريد: (علم السرد– مدخل إلى نظرية للسرد)، ت: أماني أبو رحمة، ط١، دار نينوي للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ٢٠١١م، ص ١٥٠.

[١١] محمد القاضي: (معجم السرديات)، مرجع سابق، ص٣٣١.

[١٢] المرجع نفسه، ص:٣٣٢.

وينقسم أسلوب السرد النفسي إلى أسلوبين، **أولهما:** الأسلوب اللفظي، والذي يتضمن المونولوج بنوعيه المباشر وغير المباشر، **وثانيهما:** الأسلوب غير اللفظي أو الذهني ويتضمن الحالات الذهنية التي تلجأ إليها الشخصية كنوع من التنفيس عما بداخلها عن طريق الأحلام وأحلام اليقظة، كما تتضمن أيضا الحالات الذهنية الانفعالية التي تبدو عليها الشخصيات في المواقف المختلفة، كالهيستريا والهذيان والذهول العقلي.

ويمثل المونولوج أحد أساليب السرد النفسي، وهو يحقق للشخصية إطارًا مسرحيًا ودراميًا في أثناء عرض عوالمها الداخلية وخباياها الكامنة في أعماق الشخصية، وصياغة سرودها النفسية، والجهر بخطاباتها الفكرية والذهنية، والكشف عن انفعالاتها وتوتراتها النفسية، واستنطاق دواخلها والبوح بها معتمدا في ذلك على نشاطها التعبيري والخطابي(١٣).

أما الأسلوب غير اللفظي/ الذهني، وما يعتمده من حالات نفسية وذهنية كـ(الأحلام، وأحلام اليقظة، والهستيريا والهذيان والذهول العقلي)، فهي لا تقل أهمية عن الأسلوب اللفظي، إذ يُحَلل هذا الأسلوب الحياة الذهنية للشخصية، ويقف على المظاهر الأساسية في محتواها الذهني، ويسعى إلى خلق صياغة درامية لنظام وبنية أفكارها الواعية واللاواعية، وعرض كل ما تتأمله الشخصية، وما يضمه ذهنها من انشغالات وآراء وقيم ومنظورات خاصة، تؤثر بشدة في رؤية الشخصية للعالم من حولها، وقد لا تكون الشخصية على وعي بها(١٤)، فهو يتجاوز رسم المعالم والملامح الخارجية، و"يتعداها إلى تصوير ورصد حالاتها الذهنية والباطنية، وما يتمثل لها من أفكار قامعة في ذهنها ومستقرة فيه"(١٥).

---

(١٣) المرجع نفسه، ص:٣٣١.

(١٤) يُنظر: روجر فاولر، (اللسانيات والرواية)، ترجمة: أحمد صبرة، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٩م، ص ١٥٩، ١٦٠.

(١٥) محمد معتصم: (بنية السرد العربي– من مساءلة الواقع الى سؤال المصير)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠م، ص:٣١.

(ISSN: 2536- 9555)

فالأسلوب الذهني لا يركز على ما تنطق به الشخصية، بل إنه يحلل الحياة الذهنية للشخصية، ويعتمد على الحالات النفسية والذهنية التي تعتريها.

وتعد الأحلام وأحلام اليقظة من أبرز أنواع السرد النفسي غير اللفظي/ الذهني، فهما يشكلان تنفيسا لرغبات الشخصية الكامنة في اللاشعور.

وفي الأحلام تغيب المنطقية، وتُنقل الأفكار بشكل غير مترابط؛ لأنها تكون نتاجا لما يقع فيه الشخص من أزمات وصراعات، ووفقا لهذا يُعرفها (فرويد) بأنها "نتاج نشاط نفسي مختزل"[١٦]، تحاول به الشخصية التفريغ عن رغبة مكبوتة وإشباعها.

أما أحلام اليقظة فهى أيضا حالة ذهنية، تفصح عن رغبات الشخصية ومشاعرها وصراعها الداخلي، لكنها تأتي "بشكل أقل من كابوسي وأبعد من يقظة"[١٧]، وفي الغالب فهى تتجه إلى الماضي، تعيش ما فيه من صور وذكريات وأفكار، وتبتعد عن عالمها الخارجي.

إن أسلوب (السرد النفسي) يعتمد إذن على صياغة ما لم تتلفظ به الشخصية، سواء بالإفصاح عن أفكارها الواعية أو اللاواعية، أو عرض مشاعرها وأبعادها النفسية الذهنية.

وانطلاقا من ذلك حاول البحث الوقوف على أساليب السرد النفسي في رواية "يوتوبيا"، بنوعيه اللفظي وغير اللفظي، ودورها في إنتاج النص الروائي.

أساليب السرد النفسي في رواية (يوتوبيا)

منحت نصوص رواية (يوتوبيا) حضورا لأساليب السرد النفسي؛ مما أسهم في تجسيد العوالم الداخلية النفسية والذهنية للشخصيات، وأول تلك الأساليب هو الأسلوب اللفظي، الذي يركز على ما يدور في أعماق الشخصية، سواء استطاعت

[١٦] فرويد: (الحلم وتأويله)، ت جورج طرابيشي، ط٣، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠م، ص١٨.
[١٧] يمنى العبد:) في معرفة النص– دراسات في النقد الأدبي)، ط٤، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٩م، ص٢٠٧..

الشخصية أن تعبر عنه في حوارها الداخلي بشكل مباشر، أو عجزت عن القيام بذلك، وبالتالي منحت الراوي فرصة الولوج إلى أعماقها ورصد مستويات الوعي واللاوعي بداخلها؛ للقيام بالصياغة السردية لعوالمها الداخلية. يأتي بعد ذلك الأسلوب غير اللفظي، حيث إن الصراعات والاضطرابات والأزمات النفسية لا تتوقف عند المنطوق، بل تتعداه إلى غير المنطوق أو الملفوظ؛ إذ إن هناك حالات ذهنية تسيطر على الشخصيات، ولكنها تقع خارج منطوق الشخصية، ليأتي دورها مكملا للأسلوب اللفظي في البوح ببواطن أفكار الشخصيات وعوالمها الداخلية.

وانطلاقا من ذلك، تنقسم أساليب السرد النفسي إلى:

أولا: الأسلوب اللفظي في رواية (يوتوبيا)

وظفت رواية (يوتوبيا) المونولوج الداخلي بنوعيه (المباشر وغير المباشر)، بشكل يؤهل من التعامل مع عمق الشخصيات الروائية؛ للكشف عن الكامن فيها، سواء استطاعت الشخصيات أن تفصح عما بداخلها بنفسها أو تركت المجال للراوي، ليستقر في عالمها الداخلي؛ بشكل يُمَكّنه من الكشف عن أزماتها وصراعاتها الداخلية. **لذا فقد عمدت الرواية إلى توظيفه على النحو التالي:**

أ- المونولوج الداخلي المباشر

يعد المونولوج الداخلي المباشر أحد أنماط المونولوج التي وُظفت للكشف عن العالم الداخلي للشخصية، واهتمت بإظهار العلاقة بين الشخصية وما يكمن بداخلها من أفكار ومشاعر وأزمات، ثم صياغتها بشكل مباشر، دون الاعتماد على الراوي، وعلى هذا يُعرّف المونولوج الداخلي المباشر بأنه "العرض المستقل الذي لا يتدخل فيه وسيط لأفكار الشخصية، وانطباعاتها وتصوراتها، إنه نوع من الفكر المباشر المرسل والطليق للشخصية"[١٨]. ويُعرف أيضا بأنه "تقنية خطابية

[١٨] جيرالد برنس: (المصطلح السردي- معجم مصطلحات)، ت: عابد خازندار، مراجعة: محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص: ١١٥.

(ISSN: 2536- 9555)

تعرض، بطريقة مباشرة، الصوت الداخلي للشخصية"[١٩]. وهذا الصوت الداخلي يفصح عن خبايا النفس وعالمها الداخلي، من خلال حوار الشخصية مع ذاتها بشكل مباشر، و"دون أية وساطة من قِبل الراوي"[٢٠]

ومن الجدير بالذكر أن قدرة الشخصية على الإفصاح والإعلان عن عالمها الداخلي بنفسها، يُمكّنها من صياغة حوارها النفسي الداخلي بأسلوب لفظي مباشر، ولكنه يخالف الترتيب والتسلسل في الأحداث؛ لأنه ينبع من عالم الشخصية الداخلي، الذي يمتلك ترتيبه الخاص.

وفي الغالب يكون هذا الأسلوب غير خاضع للتنظيم، والترتيب لكل ما يكمن في العالم الداخلي للشخصية؛ وذلك لأن هذا التكنيك، كما يقول (دو جاردي)، مسؤول عن" تقديم المحتوى النفسي للشخصية والعمليات النفسية لديها"[٢١].

وفي رواية (يوتوبيا) استحوذ المونولوج المباشر على حيز كبير من العالم الروائي، حيث استطاع أن يترك الشخصية تعبر عن أفكارها ومشاعرها، تأتي هنا شخصية (جابر) بطل (عالم الأغيار)، ليعبر عن الخراب الداخلي في حوار مع ذاته، فيقول "**منذ متى ضاع كل شيء؟ لا أعرف يشبه الأمر مراقبتك للشمس ساعة الغروب.. لا تعرف أبدا ما انتهى النهار وبدأ الليل.. متى بهت الضوء وبردت الأشياء، ومتى تسرب دم الشفق الأحمر يلوث الأفق، ولا متى ساد اللون الأرجواني كل شيء.. لا يمكنك أن تمسك لحظة بعينها.... ليس بوسعك أن تقول هنا كان النهار، وهنا جاء الليل...**" **(يوتوبيا، ٦٣).**

---

[١٩] عبد العزيز ضويو: (التجريب في الرواية العربية المعاصرة– دراسة تحليلية لنصوص روائية حديثة)،ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٤م،ص:٧٥.

[٢٠] جيرالد برنس: (قاموس السرديات)، ت: السيد إمام، ط١، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٥٢.

[٢١] روبرت همفري: (تيار الوعي في الرواية الحديثة)، ترجمة: محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٥٩.

فقد أسهم المونولوج الداخلي في التعبير عن خفايا النفس، دون أن تتحدث بكلام مسموع، في محاولة لإقامة حوار مع أعماق الشخصية، ليدل على حالة التخبط التي تعانيها الشخصية، والتي لم تجد تفسيرا لما يحدث حولها.

ويستدعي المونولوج الداخلي تقنية التكرار، ليتعانق الزمن، الذي يحاور فيه ذاته مع حالة الظلام التي تُخيّم على أفكاره، ليفصح أو يبوح عما بداخله، ليقول (علاء) بطل (عالم اليوتوبيا) في حواره مع ذاته "**ظلام الليل والصحراء... ظلام الاحتمالات والأفكار.. أعرف أنني أستطيع قهر جابر لو هاجمنا.. لن ينتصر الفقر والشحوب وسوء التغذية على الثراء والرياضة منذ الصغر" (يوتوبيا، ٢٦)**

يعكس المقطع السردي صوت الشخصية من خلال ضمير المتكلم، كما يوحي أيضا بوجود شخصية أخرى، توجه إليها الشخصية حوارها بكل ما يدور بداخلها من أفكار واحتمالات، وبهذا جسدت صراعها النفسي، وإحساسها بالخوف، بل وعدم الثقة بما يعتلجها من إحساس بالنصر، ويؤكد ذلك أن هذا المقطع نفسه قد تردد مرة أخرى في صـ١٧٢. إن لغة البوح هنا كشفت عن محاولة الشخصية إقناع ذاتها بأنها ستنتصر، وأن الأمر محسوم، وإن كانت الاحتمالات والأفكار التي تتملك من عالمها الداخلي أفصحت عما يناقض ذلك.

وتستمر الرواية في تقديم سرد نفسي بأسلوب المونولوج الداخلي المباشر، حيث يستدعي (علاء) ذاتا أخرى وكأنه يحاورها، ليقول في مونولوجه الداخلي" **أين ذهبت تلك المرأة؟.. لا أعرف.. هكذا تذوب الوجوه التي لا اسم لها في الظلام والزحام" (يوتوبيا، ٤٩)**

إن توظيف المونولوج كما يكشف عما يدور في العالم الداخلي للشخصية من مشاعر وأحاسيس، يكشف أيضا عن أفكارها تجاه من حولها من شخصيات أخرى، وهنا يأتي دور المونولوج الداخلي في تقديم الشخصيات الثانوية في الحكي، وفي الإفصاح عن رؤية الشخصية الرئيسة، والتي ينبع منها رؤية الشخصية لعالم الأغيار الذي لا يتميز شخصياته، بل تتشابه لتختفي بين الظلام

(ISSN: 2536- 9555)

والزحام، فقد استطاع المونولوج هنا تغذية السرد ونقل الصورة الشائعة عن عالم الأغيار في أذهان شخصيات عالم اليوتوبيا.

ويشهد العالم الروائي حضورا مميزا لتقنية الاسترجاع، وهى تلك "المفارقة الزمنية التي تعيدنا للماضي بالنسبة للحظة الراهنة"[٢٢]، لتتجلى تلك التقنية مع المونولوج المباشر، حيث يحاول (جابر) من خلال سرده النفسي أن يسترجع الأحداث، ليقول "**فقط أذكر أن الأمور كانت تسوء بلا انقطاع، وفي كل مرة كان الفارق بين الوضع أمس واليوم طفيفا، لذا يغمض المرء عينه كل ليلة وهو يغمغم: أهي عيشة.. ما زالت الحياة ممكنة..ما زال بوسعك أن تجد الطعام والمأوى وبعض العلاج.. إذن فليكن غد" (يوتوبيا، ٦٣)**

كشف الاسترجاع هنا عن استمرار المعاناة دون توقف، مما أفصح عن قدرة المونولوج الداخلي في تجسيد معاناة داخلية وربطها بالزمن الماضي، وقد وظف السرد أفعالا تدل على التعود على المعاناة، لاستمرارية الحياة، ومهما زاد السوء، فالحياة مازالت ممكنة، واللجوء إلى الاسترجاع أفاد في الربط بين ماضي الشخصية وحاضرها.

ويستمر الاسترجاع موظفا في السرد، ليقول (جابر) في حواره الداخلي مع ذاته "**أذكر أنه كان هنا شارع واسع تمشي فيه السيارات على الجانبين. تراهنت مع زينهم على أنه كانت هنا سينما يوما ما، (...)، بصراحة أنا أيضا لا أذكر إن كانت هنا سينما أم لا، لكني على الأقل أذكر ما هي السينما.. كانت هناك صور عملاقة جدا تتحرك، وكان هناك ظلام يمكنك فيه أن تدخن الحشيش بسهولة، يبدو أنه كانت لي تجربة أو اثنتين فيها، لكني لا أذكر مع من" (يوتوبيا، ٦٤)**

إن الاسترجاع مع المونولوج الداخلي، يكشف عن الصورة التي يبدو عليها عالم الأغيار، فهو أشبه بالسينما، وقد كشف عن ذلك في حواره مع ذاته، الذي تراجع فيها عن وجود سينما في المكان، لوجود ما يشبه عالم السينما من صور

[٢٢] جيرالد برنس: (المصطلح السردي– معجم مصطلحات)، مرجع سابق، ص: ٢٥.

عملاقة تتحرك في الظلام، وكأنه يجسد صورة الشخصيات التي تحيا في عالم الأغيار، ليظهرها صور عملاقة تتحرك بلا روح، وهذا يلح على دور المونولوج في الكشف عن عمق الإحساس الداخلي بالمعاناة.

ويشهد حوار (جابر) مع ذاته، تعاملا فريدا مع العالم الداخلي، حيث يجسده في صورة طفل مزعج، يتشاجر معه، ويصفعه؛ ليصمت، ولكن دون جدوى؛ لأن الطفل الكامن بداخله تعوّد على الأحلام وكانت متنفسا له؛ للخلاص من واقع مأزوم، لذا فهو يرفض التوقف عن الإفصاح عن ذاته من خلال الأحلام، التي تصوغه وتعبر عما تخبئه الشخصية، حيث يقول (جابر) في حواره مع ذاته "**فقط في سن العشرين أدركت الحقيقة القاسية وهى أن علي أن أحيا بلا أحلام، لن يكون هناك شيء يا صاحبي لا اليوم ولا غدا ولا بعد يوم، حياتك حاضر طوييييييـ(ماذا انتظر؟) يييييييـ(لاشيء) ييل قاس.. فقط في هذه اللحظات أدركت أن علي أن أخوض حربا مريرة مع ذلك الطفل المزعج في داخلي، الطفل المزعج يصرخ ويركل الأرض بقدميه لا أحلام ؟.. كيف؟ " ثم ينتقل في سباب بذيء ويضربني ويعضني، لكني في كل ليلة أصفعه وآمره أن يخرس... لا أحلام يا ابن الـ (...) لن يكون هناك غد.. الغد أخذوه منك وعليك أن تقبل كما قبلت ألا يكون عندك مأكل أو مشرب أو ثياب أو سقف أو حبيبة أو كرامة أو أسرة" (يوتوبيا، ٦٩)**

إنها محاولة الشخصية لغلق حوارها مع ذاتها، حتى لا تفصح عن الكامن بداخلها، لذا فهى تحاول إسكات الصوت الداخلي العميق، بصفعة قوية، في محاولة للهروب من الأفكار التي تكمن بداخلها، ولكن دون جدوى، مما يزيد من عمق الشعور بالأزمة والمعاناة الداخلية.

ويبدو الاسترجاع مستمرا ليكشف عن تخبط الشخصية في رفضها الانفتاح على عالمها الداخلي، وفي الوقت نفسه يكشف عن ولوج الشخصية إلى الداخل واستدعاء شخصيات أخرى بداخله، وربما كان استدعاء الشخصيات من ماضيه،

(ISSN: 2536- 9555)

حيلةً لجأ إليها، ليهرب من الأزمات التي تتملك من عالمه الداخلي. فيقول (جابر) **"لهذا أتذكر.. لهذا أمرر مذاق حياتي على لساني، كما يمرر المرء مذاق النبيذ المر بعدما فرغت الزجاجة، أتذكر أشياء وأماكن ووجوها وكلمات وأبيات شعر، وكتبا وروائح، لكني في أغلب الأحوال أتذكر نساء.. اسمها كان عزة لماذا أتذكرها الآن؟" (يوتوبيا، ٧٢)**

إن توظيف الاسترجاع عمل على تحطيم التسلسل الزمني، ليكشف عن الداخل دون ترتيب، انطلاقا من أن الماضي جزءٌ من الحاضر، أو ربما هو المسؤول الأول عن حاضر الشخصية وطريقة تعاملها ومعالجتها لكل ما يدور حولها.

وتوظف الشخصية الحيلة نفسها في استدعاء شخصيات من ماضيها؛ للهروب من الأفكار التي تتصارع بداخلها، ولكنها في محاولة هروبها أفصحت عن واقع سوداوي، دون أن تخطط لذلك، حيث يقول **(جابر)** في حوار مع ذاته **"اسمها كان نجاة، لها عين يمنى تالفة مثلي، كانت بلا عمل، سوى أن تسرق أشياء من الباعة. زوجها تركها لأنه حاول مرارا أن يقنعها بأن (تفتح مخها)، لكنها رفضت في إباء.. هناك كنز في الدار يمكن أن يكفل له حياة طيبة، لكن الكنز يرفض أن يباع" (يوتوبيا، ٧٤).**

يلجأ (جابر) إلى استدعاء شخصية أخرى، وهى (عواطف)، التي تكشف عن العالم الديستوبي الذي يحيا فيه مع غيره من الشخصيات، ليؤكد أن هذا العالم بأحداثه هو المسؤول الأول عن معاناة العالم الداخلي، ليقول في حواره مع ذاته **"اسمها كان (عواطف).. لماذا أتذكرها الآن؟ عواطف كانت ممرضة قبل أن تتوقف رواتبهن، وقبل أن يجدن أنه لا جدوى من العمل.. أكثرهن عملن كطبيبات يعالجن مقابل مال زهيد. ما كن يعالجن به هو خليط من الأعشاب والعسل والوصفات البلدية، وأحيانا بعض الأدوية التي يروجها سكان يوتيوبيا ولا يستعملونها أبدا أحيانا بعض الأدوية المهمة فعلا، تلك التي كان العاملون هناك يسرقونها لنا، وتباع بثمن باهظ ومنها المضادات الحيوية والمسكنات" (يوتوبيا، ٧٦)**

ويوظف السرد المونولوج الداخلي ليكشف عما بداخل (علاء) بطل عالم (اليوتوبيا)، حيث يقيم حوارا داخليا مباشرا مع ذاته، يحاول فيه أن يستبق الحدث، ويودع (جيرمينال) صديقته المقربة، بل ويذكر أن حياته معها، تُذكّره بالملل الذي أراد الخلاص منه دون جدوي، وهنا يكمن عالم المتناقضات الذي تجمعه الرواية بداخلها، ففي ظل حرص (جابر) لعرض معاناة من حوله من شخصيات، يبدو (علاء)، الذي يمثل عالم (اليوتوبيا)، يبحث عن ذاته وسعادته، حتى لو أدى ذلك إلى أن يفقد صديقته (جيرمينال) التي رفضت أن تتركه بمفرده، فمعاناة شخصيات عالم الأغيار معاناة جمعية، أما المعاناة في عالم اليوتوبيا معاناة فردية، تحاول فيه شخصياته الحصول على ما يسبب لها السعادة حتى ولو كان ذلك على حساب تعاسة الآخر، حيث يقول في حواره الداخلي مع ذاته "**أدركت أن الضربة الأولى هى التي ستفجر السد، بعدها تنهال الضربات.. فقط من يبدأ بها؟.. وداعا جيرمينال.. كانت حياة مملة، برغم كل شيء.. ربما كان الخلاص منها نوعا من التغيير" (يوتوبيا، ٩٥)**

وقد لجأ السرد إلى توظيف المولونوج الداخلي مع الشخصيات الثانوية أيضا، ليعلن عن معاناة الشخصية في حوارها المباشر مع ذاتها "**برغم هذا أنجبتُ منه.. لا يأتي العالم سوى الطفل الذي لا تريدينه، وتدعين الله أن تزهق أنفاسه.. ابن حرام فعلا.. كنت وحدي ساعة الولادة.. قطعت الحبل السري بسكين صدئة، وجدتها جوار الفراش ثم رفعت الرضيع من قدميه وتأملته... كتلة لحم ملوثة بالدم المتخثر.. ابن الحرام يطالب بحقه في الحياة. ابن الحرام يطالب بالغذاء والهواء والدفء والحنان، لم يكن هناك ما أفعله له.." هنا فقط على صوت جرمينال تسأل في قلق ماذا فعلت؟ تضحك المرأة..تضحك صدرها يترجرج بما فيه.. صدرها يتحشرج.. تسعل.. تبصق.. ثم تلقي برأسها إلى الخلف ويتصاعد شخيرها" (يوتوبيا، ٤٧).**

(ISSN: 2536- 9555)

ويبـدو أن الـراوي اسـتكمل المشـهد بنفسـه، ليفصـل بـين العـالم الـداخلي للشخصية وعالمها الخارجي، ليكون صوت (جيرمينال) وسؤالها للمرأة هو الفيصل بين العالمين، وربما لعدم امتلاك المرأة القدرة على العودة من عالمها الداخلي، والاندماج في عالمها الخارجي في ذلك التوقيت، فقد لجأت إلى الراوي، ليرسم صورة خارجية لها، تكرر الضحك فيها، وإن كانت تلك الصورة لا توحي بانفصالها عن عالمها الداخلي، بقدر ما تكشف عن عمق المعاناة.

هذا بالإضافة إلى أن المونولوج الداخلي أفصح عن حلقات مفقودة، عجزت الشخصية عن الجهر بها، كما أضاف إلى العالم الروائي بعدا خاصا، من خلال الكشف عن الأفكار والذكريات الكامنة في أعماق الشخصية.

ورغم سوداوية العالم الذي تحياه الشخصيات، ولكن المونولوج الداخلي كشف عن تحول شخصية (جابر) عندما قرر اغتصاب (جيرمينال):

"لا أستطيع ولا أرغب..

ماذا دهاك؟.. هل سلطة يوتوبيا عليك مطلقة إلى هذا الحد؟

هل صارت يوتوبيا تسيطر على هرموناتك وغدتك النخامية وغدتك الكظرية ونسيجك الكهفي وجهازك السبمثاوي؟..

هل إلى هذا الحد تغلغلت فيك؟

أهي سيطرة يوتوبيا، أم هي سلطة ضمير كاسحة، تجعلك ترى كل فتاة هشة معدومـة الحيلـة كأنها صفية أخرى؟

لن تعرف.. لن تعرف أبداً..

فقط أنت موقن من شيء واحد: فلتنم في سلام، ولتعد أنت إلى المذبح لتواصل انتزاع أحشاء الدجاج." (يوتوبيا، ١٤٧)

يبدو أن السرد لجأ إلى استدعاء شخصية تحاور (جابر)، وتحاول أن تكشف عما يدور بداخله من أفكار وصراعات، فجابر مازال يحتفظ ببعض إنسانيته، ولم يجد في (جيرمينـال) إلا صـورة أختـه (صفية)؛ لذا نازعته، خلال الحدث، أفكارٌ متضاربة عصفت في ذهنه؛ لتشكل حوارا داخليا.

كما يجسد لنا النسيج الروائي الأمل الوحيد الذي تمسك به (جابر) وسط الظلام الذي يسيطر على عالمه، وهو الحياة من أجل أن تحيا أخته (صفية)، ففقدانه الرغبة في الحياة، لم يمنع مشاعره وعواطفه تجاه أخته، وهذا ما يفصح عنه الصراع الداخلي.

يمكن القول: إن شخصية(جابر) شخصية متأزمة عاطفيا، تعيش حالة من التذبذب في المشاعر، ليتأرجح بين الحياة والموت، فأحيانا يتمنى الموت وأحيانا أخرى يتشبث بالحياة، وأحيانا يظهر استعطافه لأفراد مجتمعه وأحيانا أخرى يكره انتماءه لهم، حيث يقول "**ها أنتم أولاء يا كلاب قد انحدر بكم الحال حتى صرتم تأكلون الكلاب.. لقد أنذرتكم ألف مرة" (يوتوبيا، ٨٤)**

ومن عبارات البوح والاعتراف الداخلي بالضعف، ما كشف عن (علاء) في حواره الداخلي "**أنا ضعيف جدا...أنا لا أملك ما يمكنني من مواجهة موقف كهذا.. فقط أتظاهر بأنني أتقاتل على طريقة "كلب الزفة" لكني أعرف حدودي وأعرف أنني لهذا السبب بقيت حيا.. يجب أن تلتصق بالعصابات.. تلتصق بالأقوياء الذين يأخذون ما يريدون.. يجب أن تكسب مودتهم و تقنعهم أنك ضروري لهم، لكن لا تلتصق بهم أكثر من اللازم، فتفقد حياتك عندما يفقدونها.. (يوتوبيا، ٧٨)**

وأخيرا يمكن القول: إن توظيف المونولوج الداخلي المباشر كشف عن حجم المعاناة النفسية، التي تمر بها الشخصيات، لتبدو حالة القلق النفسي والتخبط والاضطرابات التي تكمن في عوالم الشخصية الداخلية.

ب-<u>المونولوج الداخلي غير المباشر</u>

عمدت الرواية إلى توظيف المونولوج الداخلي غير المباشر، الذي لا تفصح فيه الشخصية عما بداخلها بنفسها، وإنما تلجأ إلى الراوي لينقل معاناتها، وما يدور بداخلها من أفكار.

وإذا كان المونولوج المباشر يأتي بصيغة المتكلم، فإن المونولوج غير المباشر يأتي بضمير الغائب، أو المخاطب، وهو يُعرّف بأنه "نمط من المونولوج

(ISSN: 2536- 9555)

يصاغ بضمير "الغائب" أو "المخاطب" من راو ينقل المادة الذهنية التي تنبع من ذهن شخصية ما ووعيها، لذا يترتب على هذا النوع من "المونولوج" استخدام الطرق الوصفية والتفسيرية على نحو واسع[٢٣]، فالمونولوج الداخلي إذن يتجلى في تكفل خطاب الراوي بنقل الخطاب الذهني لشخصية ما[٢٤].

وكما لجأت رواية (يوتوبيا) إلى توظيف المونولوج المباشر كأسلوب من أساليب السرد النفسي، فقد لجأت أيضا إلى استخدام المونولوج غير المباشر بواسطة راوٍ، يتكلم بصيغة الغائب أو المخاطب؛ ليتولى مسؤولية الولوج إلى العالم الداخلي للشخصية؛ لاستنطاقه والكشف عن معاناته.

ويقترن المونولوج غير المباشر في رواية (يوتوبيا) بضمير المخاطب، حيث يقول الراوي في مونولوج داخلي بصيغة المخاطب في حديثه عن أثر المخدرات على الشخصية "**الآن أنت لم تعد هنا... الآن أنت سيد المكان والزمان والكون ذاته.. الآن كل ما حلمت به موجود هنا معك... يمكنك أن تشرب الأفكار في كؤوس، وتصب الخمر في دهاليز عقلك.. يمكنك أن تلتهم الروائح وتراها.. يمكنك أن تشم الضوء.. كل ما خشيته رحل إلى غير رجعة.. أفكار عبقرية تخطر لك لكنك تنساها عندما تتمعن فيها.. عبارات مزاح ظريفة جدا تتبخر قبل أن تخرج من فمك، لكنك تقدر أنهم سمعوها.. لهذا تضحك.. لهذا يضحكون... بعد قليل يأتي الذهول وتشخص عيناك.. هذه هى اللحظة.. إنه النفق الذي لن تخرج منه إلا بعد ساعات**" **(يوتوبيا، ٣٥)**

فقد تولى الراوي زمام الحكي والإفصاح عن العالم الداخلي للشخصية، وربما كان توظيف المونولوج غير المباشر هنا إشارة إلى عدم قدرة الشخصية على ترتيب وصياغة أفكارها التي تدور داخلها، بفعل المخدرات، مما جعل الراوي يلجأ

[٢٣] المرجع نفسه، ص: ٦٦.

[٢٤] ينظر: محمد القاضي: (معجم السرديات)، مرجع سابق، ص ٤٣٨.

إلى وصف حالتها بشكل غير منظم، ليستدعي عالما مفككا، تحاول الشخصية من خلاله الهروب من حالة الملل الذي تسيطر عليها.

والملاحظ أن العالم الروائي يحاول توظيف تقنيات عدة تتعانق مع السرد النفسي وأساليبه؛ بغرض الإفصاح عن الرغبات والصراعات الداخلية، حيث يوظف الراوي التساؤل في المونولوج الداخلي، حيث يقول "**متى حدث هذا؟.. تسأل نفسك فلا تظفر بإجابة**" **(يوتوبيا، ٦٤)**

والجدير بالذكر أن المونولوج غير المباشر هنا يلجأ إلى التفسير كثيرا، وكأن الراوي يفصح عن ذاته، ويحل محل الشخصية في الولوج إلى عالمها الداخلي وتفسير ما تعانيه.

إن العالم الروائي يشير إلى مجتمع سوداوي، يتغير فيه كل شيء، ومع هذه النظرة السوداوية أصبح كل شيء عاديا، حتى الأسماء أصبحت محايدة، لا تدل على ديانة صاحبها، وفي ذلك يقول الراوي في مونولوج داخلي غير مباشر، معلقا على ما جاءت به الشخصية "**والمسيح الحي انتظرناك كثيرا**".. **لا يمكنك أن تعرف دين أي واحد هنا، ما لم ينطق بقسم من نوع المسيح الحي أو يصل على رسول الله، فحتى الأسماء صارت عادية محايدة، لا تدل على شيء**" **(يوتوبيا، ٦٥)**

ويوظف الراوي المونولوج غير المباشر، ليكشف عن رؤية شخصيات عالم اليوتوبيا عن عالم الأغيار، ليرى أنهم المسؤولون عما وصلوا إليه، **حيث يقول الراوي على لسان (علاء) "ليس فقركم ذنبنا،(...) أنكم تدفعون ثمن حماقتكم وغباؤكم وخنوعكم،(...) عندما كان آباؤنا يقتنصون الفرص، كان آباؤكم يقفون أمام طوابير الرواتب في المصالح الحكومية ثم لم تعد هناك مصالح حكومية ولم تعد هناك رواتب،(...)، أنتم لم تفهموا اللعبة مبكرًا لهذا هويتم من أعلى إلى حيث لا يوجد قاع،(...)، عندما هب الجميع ثائرين في كل قطر في الأرض**

(ISSN: 2536- 9555)

هـززتم أنـتم رؤوسـكم وتـذرعتم بالإيمـان والرضـا بمـا قسـم لكـم " (يوتوبيـا، ١٦٤،١٦٥)

فقد جسد النص الروائي دور المونولوج غير المباشر في الكشف عن العوالم الداخلية للشخصيات الروائية، من خلال صوت الراوي، ليخلق هذا النمط من المونولوج تماهيا بين صوتي الراوي والشخصية.

إن حضور المونولوج الداخلي غير المباشر في النص الروائي، كان أقل من سابقه، فالمونولوج المباشر، يفصح بشكل أفضل عن أفكار الشخصية وعالمها الداخلي، إذ يترك لها المجال لتتحدث بحرية وتتداعى الأفكار وتنساب الكلمات معبرة عن عمق الداخل.

ثانيا: الأسلوب غير اللفظي

لعل ما يجب إدراكه أنَّ الأزمات والصّراعات الداخلية والاضطرابات الذّهنية والفكريّة، التي تمر بها الشخصيات، لا تتوقف عند ما تنطق به، بل تتجاوزه إلى ما هو غير منطوق؛ فهناك حالات ذهنية تعيشها الشَّخصية مع ذاتها؛ نتيجة صراعاتٍ داخليَّةٍ وأزمات مكبوتة، يحاول السرد الإفصاح عنها من خلال عدة وسائل، منها:الأحلام، وأحلام اليقظة، والهيستريا، والهذيان، والذهول العقلي، بعضها يوظفه السرد للتنفيس عما تمر بها، والبعض الآخر يبدو في ردود الأفعال المضطربة للشخصيات دون وعي منها، ولعجز الشخصية عن صياغة تلك الحالات، فإن الراوي يقوم بهذا الدور؛ حيث يحاول الولوج إلى مشاعر الشخصية وأفكارها وهواجسها وحالاتها الداخلية، ليصوغ هذا العالم الداخلي بكل ما يعتلجه في النص الروائي، بشكل أكثر عمقا، سواء أكانت الشخصية واعية أم غير واعية.

إن الرواية لم تقتصر على توظيف الأسلوب اللفظي؛ لعرض العوالم الداخلية، والكشف عما يتصارع في ذهن الشخصية من أفكار، وإنما تعدت ذلك إلى توظيف أساليب أخرى غير لفظية، تصاغ خارج منطوق الشخصية، وإن جاء

هذا الأسلوب مكملا للأسلوب اللفظي، ليشاركه في البوح عن العالم الداخلي للشخصية.

ويُعرّف الأسلوب غير اللفظي بأنه "أحد أساليب تمثيل فكر الشخصية، الذي يبرز المحتوى غير الشفاهي أي غير اللفظي للشخصية الروائية"[٢٥]

ويختص الأسلوب غير اللفظي أو الذهني، في رواية **(يوتوبيا)** بالكشف عن الحالات الذهنية والنفسية التي تعانيها الشخصيات، وهو ينقسم قسمين، الأول: الأحلام وأحلام اليقظة، أما الثاني فيختص بالحالات الذهنية كـ(الهستيريا، والهذيان، والذهول العقلي)، ويمكن رصد تلك الحالات الذهنية في العالم الروائي كما يلي:

أ- **<u>الأحلام وأحلام اليقظة في رواية (يوتوبيا)</u>**

يعتمد توظيف الأسلوب الذهني على كشف الحالات النفسية والذهنية التي تعانيها الشخصيات؛ رغبة في الكشف عن الرغبات الكامنة في اللاشعور، فالولوج إلى عمق تلك الحالات الذهنية يبرز العالم الداخلي، ويأتي ظهوره في عدة صور، أولها: الأحلام وأحلام اليقظة، والتي تعد من الأساليب التي يلجأ إليها السرد النفسي؛ تنفيسا عما تعانيه الشخصية، ولكنها لا تستطيع الخلاص منه، ليتجلى في عالم الأحلام.

وتعد الأحلام سلسلة من التخيلات التي تحدث أثناء النوم، وتختلف في مدى تماسكها ومنطقيتها، ويذكر (سيغموند فرويد) أن الأحلام وسيلة تلجأ إليها النفس لإشباع رغباتها ودوافعها المكبوتة، خاصة التي يكون إشباعها صعباً في الواقع. لذلك فكثير من الأحلام تبدو خالية من المعنى والمنطق، على عكس أحلام اليقظة التي تكون منطقية[٢٦].

---

[٢٥] المرجع نفسه، ٣٣٢.

[٢٦] ينظر :محمود غزلان: (تفسير الأحلام)، مكتبة معروف، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٨.

(ISSN: 2536- 9555)

لعل الفارق بين الأحلام وأحلام اليقظة يبدو في غياب المنطقية وحضورها في المحتوى الحُلمي، وإن اتفق كلاهما في كونهما تنفيسا عن رغبات ودوافع كامنة في عمق الشخصية.

فالأحلام مجال خصب وثري، يفصح عن رغبات الشخصية ويعبر عما يعجز الوعي عن الإفصاح عنه، حيث تتشابك فيها المشاهد، لتكوّن عالما نفسيا معادلا للعالم الخارجي، يمكّن الشخصية من الهروب إليه، وتعتبره الملجأ الوحيد لها، عندما تعجز عن التواصل مع عالمها الخارجي.

أما أحلام اليقظة فتعيشها الشخصية على أرض الواقع، ليبدو الذهن في غياب جزئي عن العالم من حوله، وتلجأ إليها الشخصية بوصفها متنفسا لكل ما تعانيه في واقعها، "أو بديلا عن كل مضمون عاطفي وعقلي لتداعيات الأفكار"[٢٧].

ومن ثم يمكن اعتبار (الأحلام وأحلام اليقظة) من أبرز تلك الحالات الذهنية، التي يشكل حضورهما في العالم الروائي تنفيسا عن رغبات الشخصية الخفية والمكبوتة في اللاشعور، وإن أشار عالم الأحلام عن تمكن اللاوعي من الشخصية، فهو عمل لا إرادي، أما أحلام اليقظة فهى تميل إلى الوعي بدرجة ما، وإن كانت تمزج بينه وبين اللاوعي؛ تنفيسا عما تشعر به من أزمات في عالمها المعاش.

وقد وظفت رواية (يوتوبيا) هذا الأسلوب في عالمها الروائي؛ لتكشف عن الرغبة في الانفلات من عالم معاش إلى عالم آخر، لم تستطع الشخصيات العيش فيه كما ترغب.

يبدو الحُلم من الوهلة الأولى المتنفس الوحيد لشخصية (جابر)، فرغم كل ما حل بالقاهرة وما حولها من خراب، يجد أن الخلاص من كل هذا الخراب يكون

[٢٧] فرويد: (الحلم وتأويله)، مرجع سابق، ص ١٥.

عن طريق الحلم، ليقول "**يمكن أن يتحمل المرء الحياة بلا مأوى.. بلا مأكل.. بلا سقف.. بلا أصدقاء...لكنه لا يتحمل الحياة بلا أحلام"! مُنذ طفولتي لم أجرب العيش بلا أحلام ..أن تنتظر شيئاً.. أن تُحرم من شيء.. أن تُغلق عينيك ليلاً وأنت تأمل في شيء.. أن تتلقى وعداً بشيء.. فقط في سن العشرين أدركت الحقيقة القاسية، وهي أن عليَّ أن أحيا بلا أحلام**" **(يوتوبيا، ص٦٩)**

يبدو عالم الأحلام بوصفه خلاصا من الحرمان والبؤس، ورسما لعالم ترى فيه الشخصية ما تتمناه، بل وتتلقى فيه الوعود التي تتمناها، فالأحلام تنتج عن الصراع بين الرغبات النفسية المكبوتة مع العجز عن مقاومة كبت تلك الرغبات، لذا فالشخصية تدرك أنها لا يمكن أن تحيا دون الحلم، وذلك لعدم قدرتها على تحقيق الحياة التي تأمل أن تحياها على أرض واقعها.

إن سيطرة الحُلم على الشخصية، جعلها ترى أن الحقيقة القاسية تبدو في غياب الحُلم، رغم ما تعيشه الشخصية من خراب حلّ بالعالم من حولها.

لقد عبر العالم الروائي عن رغبات الشخصية في رسم عالمها الخاص، والتي عجزت عن تحقيقه في عالمها المعاش، فالحلم تحقيقٌ للوعود والآمال المنشودة، لذا يقول الراوي على لسان الشخصية "**أن تُحرم من شيء، أن تغلق عينيك ليلًا وأنت تأمل في شيء، أن تتلقى وعدًا بشيء)** .

وقد حاول العالم الروائي توظيف القراءة؛ لإشباع خيال الشخصية، ومساعدتها في العيش في عالمها الخاص عن طريق الحلم، فقد كانت القراءة أداة الشخصية حتى تغيب عن الوعي وتعيش في عالم من صنعها،ليقول الراوي على لسان الشخصية "**قال لي سالم بيه: "أنت تقرأ كثيرا. أنت مجنون!".. قلت له إن القراءة بالنسبة لي نوع رخيص من المخدرات. لا أفعل بها شيئاً سوى الغياب عن الوعي. في الماضي- تصور هذا- كانوا يقرءون من أجل اكتساب الوعي!" (يوتوبيا، ١٥).**

(ISSN: 2536- 9555)

إن العالم الحلمي يتعانق مع القراءة رغبة في الوصول إلى الغياب عن الوعي؛ لتتمكن الشخصية من العيش بحرية في عالمها الخاص.

ويتجلى توظيف الحلم في النسيج الروائي، ليحمل إشارات إلى أحلام اليقظة، حيث يقول (جابر) "**لا أعتقد أنني نمت..لو سألتني لقلت لك إنني لم أنم..لكن هناك ذلك الضباب الذي يحيط بك ويتأرجح بين الكثافة والخفة..الوعي ينغمس في مستنقع ويخرج منه.. كذلك كان نومي**" **(يوتوبيا،١١٢).**

إن رغبة الشخصية في الخروج عن الوعي، الذي على حد قولها ينغمس في مستنقع، جعلها تلجأ إلى أحلام اليقظة، لتقرر أنها لم تنم، ولكن ما حدث لها هو غياب عن الوعي، كمحاولة للخروج منه، لتصبح أحلام اليقظة طريقها إلى اللاوعي، للتنفيس عن الرغبات والمشاعر المكبوتة والكامنة بداخلها.

ويتعانق الحلم مع تقنية الاستباق، وهو "مفارقة زمنية تحدث في المستقبل قياسا إلى اللحظة الراهنة"[٢٨]، حيث يؤكد (جابر) أنه سيموت، فيقول: "**أعرف أنني سأموت بعد يومين فلا تقل العكس... لا تكرر هذا الهراء وإلا طعنتك بمطواتي... دعني أحلم مرة أخيرة... أنا لم أفعل هذا منذ زمن**" **(يوتوبيا، ٦٣)**

إن عالم الأحلام كان المتنفس الوحيد للشخصية، حتى عندما تؤكد الشخصية أنها ستموت بعد يومين، لم يكن الأمر يزعجها، ولكنها لجأت إلى عالم الأحلام، رغبة في خلق عالم ترسمه بنفسه، وتفصح فيه عن رغباتها المكبوتة ومشاعرها التي لم تستطع تحقيقها على مستوى الوعي، فلجأت إلى مستوى اللاوعي محاولة إرضاء ما بداخلها.

يمكن القول: إن الأحلام وأحلام اليقظة جسدت عدم الاستقرار النفسي الذي تحياه الشخصيات، والصراعات التي تعيشها في عالمها، وبالتالي كانت الأحلام وسيلتها ومتنفسها للخروج من مستوى الوعي إلى مستوى اللاوعي.

---

[٢٨] جيرالد برنس: (المصطلح السردي– معجم مصطلحات)، مرجع سابق، ص: ٢٦.

ب-<u>الحالات الذهنية/العقلية (الهستيريا، والهذيان، والذهول العقلي)</u>

لم تقتصر الرواية على توظيف عالم الأحلام في صياغة عالمها السردي، ولكنها تجاوزته لتجسد حالات الهيستريا والهذيان والذهول العقلي؛ بوصفها حالات تنتاب الشخصية، دون وعيها، ويأتي دور السرد هنا في صياغته لتلك الحالات التي تعجز الشخصيات عن صياغتها.

حيث تعد كلٌّ من (الهيستريا، والهذيان، والذهول العقلي) حالات ذهنية، يتبناها الأسلوب غير اللفظي، ويصوغها الراوي، لتشكل مع (الأحلام، وأحلام اليقظة) تجسيدا لعوالم داخلية ورغبات مكبوتة.

إن الحالات الذهنية تعد من أكثر الأمراض العقلية شيوعا، وترتبط بالنشاط النفسي اللاشعوري للشخصية، وتقع نتيجة اضطرابات نفسية، ولها أسباب، أبرزها الخوف، وهى قد تؤدي إلى انفصام الشخصية، ولا يمكن إدراكها بالملاحظة المباشرة، وإنما يمكن استنتاجها[٢٩].

وتُعرّف (الهستيريا) بـ "أنها مرض نفسي عصابي، تظهر فيه اضطرابات انفعالية مع خلل في أعصاب الحس والحركة، وهو عصاب تحولي تتحول فيه الانفعالات؛ هروبا من الصراع النفسي أو من القلق أو من موقف مؤلم بدون أن يُدرك الدافع لذلك"[٣٠].

أما (الهذيان) فيعرّف بأنه خلل شامل في الشخصية، يجعل سلوكها العام مضطربا، ويعوق نشاطها الاجتماعي، مما يؤدي إلى فقدانها اتزانها؛ نتيجة أسباب منها الصراعات النفسية والإحباطات والتوترات النفسية، وانهيار وسائل الدفاع النفسي لدى الشخصية أمام هذه الصراعات والتوترات[٣١].

---

[٢٩] ينظر: يونغ: (البنية النفسية عند الإنسان)، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار، سوريا، ١٩٩٤م، ص:٣٨، ٣٩.

[٣٠] ينظر: أنور حمودة البنا: (الأمراض النفسية والعقلية)، كتاب إلكتروني، أكتوبر ٢٠٠٦م، ص: ١٢٠، ١٢١.

[٣١] ينظر: المرجع نفسه، ص: ١٣٩، ١٤٠.

(ISSN: 2536- 9555)

أما حالة (الذهول العقلي) فتُعرّف بأنها نوع من الاضطرابات الانفعالية، تكون فيها ردود الفعل انفعالية غير مناسبة لمثيرها بالزيادة أو بالنقصان، وتتولد نتيجة أسباب، منها: الخوف الشديد، والشعور بالفشل أو الإحباط، والصراع بين الرغبات، وصعوبات الحياة، والقسوة والتسلط في المعاملة، والفزع، والشعور الذاتي بعدم الرضا وعدم الراحة والتململ(٣٢).

وعند الولوج إلى العالم الروائي، يتضح توظيفه لتلك الحالات الذهنية وصياغتها في نسيجها الروائي.

تبدو حالة الهيستريا فيما تقوم به (جيرمينال)، عندما يقرر (علاء) أن يقوم بمغامرة واصطياد فريسة من عالم الأغيار، كنوع من تخفيف الملل، الذي تحيا فيه الشخصيات في عالمها اليوتيوبي، ويصف الراوي حالتها، **ليقول "شهقت جرمينال رعبا.. شهقت جرمينال نشوة..الموت اللعبة العظمى التي لم نجربها بعد" (يوتوبيا، ١٣)**

إن ما يسترعي الانتباه توظيف السرد لتلك الجمل المتقطعة، ليعبر بها عن الحالة التي انتابت الشخصية، عندما علمت بالمغامرة التي ستقوم بها مع علاء، وتلك العبارات مع قصرها، تصف الحالة الذهنية التي سيطرت على الشخصية، والتي حاول السرد تجسيدها في جمل متقطعة توازي التوتر الداخلي الذي شعرت به الشخصية.

فقد ركز المقطع السردي على تحليل انفعالات شخصية "جيرمينال"، وعلى الرغم من صعوبة المغامرة، التي جعلتها تتصرف بهيستريا بين الرعب والشعور بالنشوة، إلا أنها رأت الموت لعبة عظمى أرادت أن تجربها لتصل لتلك النشوة.

إن الشخصية تشهد توترا وتذبذبا واضحا بين الخوف والشعور بالنشوة، لتجعل النشوة تنتصر على الخوف.

(٣٢) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٢٥٣،٢٥١.

والجدير بالذكر أن العالم الداخلي كشف عن التعامل المغاير مع الموت في ظل بشاعة الأحداث التي تمر بها الشخصيات، ليتحول من إحساس الشخصية بالخوف إلى اعتباره لعبة؛ بغية الوصول إلى النشوة، فيخرج الموت عن حقيقته ويبدو وسيلة للحصول على المتعة المنشودة.

وتتجلى حالات الهيستريا في الرواية عندما يفصح علاء لوالدته عن رغبته في المغامرة؛ ليتنحى عنه الملل، لكنها ترفض ذلك، ويقول الراوي على لسانها **"قالت فيه هستيريا: لو عدت للكلام في هذا الموضوع سأخبر أباك!" (يوتوبيا، ٢٩)**

إن حالة الهيستريا التي تنتاب الشخصيات تنم في العالم الروائي عن كسر المألوف، ومحاولة الشخصيات الخروج عن النمطية؛ تجنبا للملل، ولكن اختلاف المعيشة بين العالم اليوتيوبي وعالم الأغيار يزيد من حدة الهيستريا، حيث يصف الراوي، على لسان (علاء)، حالة (جيرمينال) عندما رأت ما يدور في عالم الأغيار، ليقول: **"تشد جرمينال يدي في عصبية، فأنظر إلى حيث تشير.. هناك قفص خشبي عليه أكوام من جلود الدجاج بشعة المنظر.. المصيبة أن الناس يبتاعون هذه الأشياء..أقاوم العصارة التي ارتفعت إلى حلقي وأجرها بعيدا.. سوف تفضحنا بطريقتها الانفعالية الهيسترية هذه.. لو دقق أحدهم في وجهنا لرأى أننا لم نعرف الجوع يوما" (يوتوبيا،٥٣)**

وفي هذا الشأن تتجلى حالة الهيستريا معبرة عن اختلاف عالم الأغيار عن العالم اليوتوبي، ليظهر هذا الاختلاف ردود أفعال هيسترية على الشخصيات، لتعيش في انفعالات متواصلة، ويسيطر عليها الشعور بالضيق وعدم الثبات الانفعالي.

ويحاول العالم الروائي استعراض بعض السياقات التي تتجلى فيها حالات الهيستريا، وذلك في حوار (جابر) مع ذاته عن النساء، ليصف ردود أفعال انفعالية متنوعة، متذبذبة، تتغير حالاتها، ليعرض لشخصية (عزة) قائلا **"(عزة)**

(ISSN: 2536- 9555)

تضحك..(عزة) تهتز..(عزة) تقطب.. (عزة) تغمز.. (عزة) تنتشي.. (عزة) تتشاجر.. (عزة) تتلوى.. (عزة) تهمس... (عزة) تبتسم.. (عزة) تفكر" (يوتوبيا، ٧٢).

ويكرر الأمر نفسه مع نجاة، حيث يقول "(نجاة) تضحك..(نجاة) تهتز..(نجاة) تقطب.. (نجاة) تغمز.. (نجاة) تنتشي.. (نجاة) تتشاجر.. (نجاة) تتلوى.. (نجاة) تهمس... (نجاة) تبتسم.. (نجاة) تفكر" (يوتوبيا، ٧٥)

وللمرة الثالثة يكرر مع "عواطف"، ليقول "(عواطف) تضحك..(عواطف) تهتز..(عواطف) تقطب.. (عواطف) تغمز.. (عواطف) تنتشي.. (عواطف) تتشاجر.. (عواطف) تتلوى.. (عواطف) تهمس... (عواطف) تبتسم.. (عواطف) تفكر" (يوتوبيا، ٧٦)

إن شخصيات (عزة ونجاة وعواطف) لم يوظفها العالم الروائي إلا كأدوات في يد (جابر)، والدليل تلك الحالات الانفعالية المتكررة، التي يرى (جابر) عليها الشخصيات، ليبني صورا متواترة لكل شخصية، ويكشف عن حالاتها الانفعالية المتغيرة في جمل قصيرة، تجمع بين الشخصية والحالة التي تمر بها.

فالشخصيات النسائية عند (جابر) لا تثبت على حال إنه يجمعها في مختلف حالاتها، ليراها تتغير من حال إلى حال، وإن كان تواتر تلك الحالات المذبذبة انفعاليا، يكشف عن نظرة الشخصية لهن، وأن تلك الحالات الانفعالية تتحد فيها النساء، وتعبر عن عالمها من خلالها.

وتبدو الهيستريا فيما فعل (جابر) عندما أخذ (علاء) و(جيرمينال) معه إلى منزله، ليصرح بأنه يعلم جيدا السبب الذي جعلهم يتركون عالمهم اليوتيوبي ويتوجهون إلى عالم الأغيار، **ليقول "لقد جاءوا ليظفروا بواحد منا يتسلون به.." وبدأ انفعاله يتزايد رويدا رويدا كأنه يبصق الحقد الذي يتراكم فوق روحه:- "لماذا لا تتركوننا وشأننا؟... سرقتم منا الماضي والحاضر والمستقبل.. لكنكم تكرهون أن تتركونا نعيش.." (...) ثم انفجر في ضحك وحشي.. ضحك**

وحشي.. وحشي.. ظللنا صامتين كنت حائرا بين إظهار الخوف، فأشعل ساديته أكثر، أو إظهار اللامبالاة فأثير غيظه وجنونه" (يوتوبيا، ١٠١، ١٠٢)

لقد صور المقطع السردي حالة الهيستريا، وقد عبر من خلالها عن الرغبات والدوافع المكبوتة تجاه العالم اليوتيوبي، مما جعله يزداد انفعالا، ليدل على حالة الكبت والأزمة الداخلية من جراء التهميش الذي يتعرض له من قبل العالم اليوتيوبي، واعتباره هو وغيره من الأغيار مجرد أداة للتسلية، مما جعله يعرض لتلك الحالة الهيسترية، التي تذبذبت بين الانفعال والضحك الوحشي، ليكون رد فعل (علاء) هو الصمت التام؛ خوفا من إثارة غضبه وجنونه أكثر من ذلك، فللصمت دوره في التعامل مع الأحداث والشخصيات، فهو جزء أساس في العالم الروائي.

والجدير بالذكر أن المقطع السردي قدّم ملاحظة دقيقة تفصيلية لسلوك الشخصية وتصرفاتها تجاه ما تمر بها، ووفقا لأحوالها النفسية وصراعاتها الداخلية.

وتتجلى حالة الهيستريا أيضا على (جيرمينال) التي حاولت التواصل مع عالمها اليوتيوبي، خوفا من عالم الأغيار وهروبا منه، ولكنها لم تستطع، **حيث يقول الراوي "انقض بعضهم على الزقاق، فهرعت لألحق بهم، لأجد جيرمينال تستند إلى جدار، وهي تمسك بالمحمول، كأنها كانت تحاول طلب رقم.. رقم أمها في يوتوبيا طبعا.. كانت ترتجف، وعلى وجهها أعنف رعب رأيته في حياتي.. قطط قليلة أظهرت هذا الهلع وهي محاصرة في ركن زقاق.. من فرط الانفعال راحت تهرش صدرها وشعرها في فظاظة وبحركة مضحكة، كأنها تقول لهم أنا لست من تظنون.. أنا عامرة بالبراغيث!.. انظروا !!! (يوتوبيا، ١٢٢)**

كما يعرض استكمالا لحالتها الهيستريا "**كانت جرمينال تبكي فعلا، فازداد بكاؤها حرقة، هذه جاءت في الوقت المناسب، لأنهم تفرقوا وهم يضربون كفا بكف" (يوتوبيا، ١٢٣)**

(ISSN: 2536- 9555)

لقد استطاع الراوي من خلال التعبير عن الحالات الهيسترية التي تمر بها الشخصيات، الكشف عن خوفهم وتمردهم وتذبذبهم والإفصاح عن العالم الداخلي لهم، مهما بدا العالم الخارجي مستقرا، فعمق الداخل يكشف ما تعانيه تلك الشخصيات، ولا تستطيع التعبير عنه، حتى تأتي الفرصة للانفجار والتعبير عما تعانيه في تلك الحالة الذهنية.

نأتي إلى حالة الهذيان، فقد وظف العالم الروائي تلك الحالة، التي تتأرجح فيها الشخصيات بين أفعال عدة، ويرصد العالم الروائي شخصية (علاء) الذي يعيش يومه في رتابة ولا يجد ما يدفع عنه الملل، ليقول الراوي على لسانه **"أتثاءب.. أضحك.. أبصق.. ألتهم اللحم المحمر. أدس اصبعي في حلقي..أدخل غرفة نوم لآخرين لأفرا ما بمعدتي على البساط.. أضحك.. أدس إصبعي في أذني.. آخذ زجاجة ويسكي من البار وأجرع منها.. أرقص.. أترنح.. أقف فوق أريكة.. أتقلب على البساط.. أقرأ الجريدة التي لا تزيد علي اجتماعيات يوتوبيا.. (...) أخرج أنبوب الفلوجستين.. أصب قطرات على جلدي.. أنتشي.. أرى النيران الخضر... أضحك... أمشي عاريا في الردهة.. ألبس ثيابي.. أرسم على الجدار بقلم الفحم شعارات تقول: اقتلوا البيض.. لا أعرف معنى هذا ولا من هم البيض. لكنهم هكذا يفعلون في السينما، (...)، أرقص.. أقئ.. آكل من جديد" (يوتوبيا، ٢٦، ٢٧)**

فالتذبذب بين الانفعالات المختلفة وعدم الاستقرار على حالة بعينها يكشف عن حالة الهذيان العقلي التي تمر بها الشخصية، من جراء إحساسها بالملل والرتابة، ولعل ما قامت به من انفعالات مختلفة، لا ينم إلا عن الرغبات المكبوتة التي لم يستطع القيام بها، لوجوده في عالم يفصله عن غيره، ليجد المتعة في الخلاص من هذا العالم تحقيقا وتنفسيا عن عالمه الداخلي.

إن ما تمر به تلك الشخصية يجعلها ترى الأحداث كلها بلامبالاة، بل ينعدم عندها كل معاني الإنسانية، لنراها تشعر بالإثارة بمجرد انقلاب سيارات الشباب؛

لأنها الطريقة الوحيدة لتحقيق المتعة في عالمهم اليوتيوبي، ونرى حالة الهذيان تسيطر عليه فيفكر في الانتحار، وإن تراجع عن الفكرة، لأنه يرى الانتحار يقوم به شخصيات الأغيار فحسب، حيث يقول "**من حين لآخر ترى مطاردة عنيفة بين سيارات الشباب، غالبا ما تنقلب سيارة أو اثنتان، وهذا يضفي إثارة غير عادية على الحياة، لكنك للأسف لا تستطيع قلب سيارة كل ساعة في اليوم.. لماذا لا ننتحر؟ لا أعرف الانتحار يبدو سوقيا و(بلدي) جدا" (يوتوبيا، ٣١)**

وتأتي حالة الذهول العقلي من خلال حالة التغييب العقلي التي يمر بها العالم اليوتيوبي، حيث يقول الراوي على لسان الشخصية "**أفكار عبقرية تخطر لك لكنك تنساها عندما تتمعن فيها.. عبارات مزاح ظريفة جدا تتبخر قبل أن تخرج من فمك، لكنك تقدر أنهم سمعوها.. لهذا تضحك.. لهذا يضحكون... بعد قليل يأتي الذهول وتشخص عيناك.. هذه هي اللحظة.. إنه النفق الذي لن تخرج منه إلا بعد ساعات" (يوتوبيا، ٣٥)**

وهذه الحالات الذهنية التي تتأرجح فيها الشخصيات بين الهيستريا والذهول والهذيان، تعد انعكاسا داخلية لكل ما يدور في العالم الداخلي من اضطرابات وصراعات وأزمات.

ويأتي دور الراوي، لصياغة ما يدور في ذهن الشخصيات، لينطق بما لم تستطع الشخصيات النطق به، بل وتنطق بما عجز وعيها عن الإلمام به من حالات انفعالية، ليوظفها في العالم الروائي.

وفي الختام، يمكن القول: إن العالم الروائي أفصح عن الخفايا والبواعث النفسية والرغبات المكبوتة، بالإضافة إلى الحالات التي تتصارع في العوالم الداخلية للشخصيات، سواء بوعي منها أو دون وعي، وذلك عن طريق قدرتها على البوح، وترجمتها لما يعانيه عالمها الداخلي من انكسار وتأزم، أو عن طريق الراوي الذي يستقر في العالم الداخلي لها؛ لينقل اضطراباتها الداخلية، التي عجزت الشخصية عن الإفصاح عنها بنفسها.

(ISSN: 2536- 9555)

الخاتمة

إن توظيف أسلوب السرد النفسي في رواية (يوتوبيا) أسهم في الوصول إلى عدد من النتائج، وهى:

- جسدت الرواية الصراع بين المدينة الفاضلة ومدينة الأغيار، وإن لم يكن الصراع خارجيا فحسب، بل إن الصراع الخارجي أحدث صراعات داخلية وأزمات نفسية ظلت كامنة في أعماق العالم الداخلي للشخصيات، وقد وظف العالم الروائي أسلوب السرد النفسي للإفصاح عنها وإعادة إنتاج الرواية من خلالها.
- اعتمد أسلوب السرد النفسي على توظيف تقنية الاسترجاع بشكل ملحوظ؛ ليعطي فرصة للشخصيات الروائية، للإفصاح عن عالمها الداخلي، وإقامة الصلة بين عالمها الآني وعوالمها البعيدة.
- لجأت الرواية إلى تغييب بعض الألفاظ وحذفها، واستبدالها بنقاط صماء، وقد اعتمدت على القارئ في ملء الفراغ الناتج عن حذفها؛ ليكون مشاركا في العملية الإبداعية، وقد أسهم غيابها عن تجسيد العالم الداخلي بكل ما يعانيه من أزمات وصراعات.
- إن لجوء الراوي إلى المونولوج غير المباشر، والذي يتولى الراوي بنفسه الإفصاح عن العالم الداخلي للشخصيات، جعله يلجأ إلى تقنية الوصف كثيرا؛ ليعوض بها غياب الشخصية عن دورها في الإفصاح عما بداخلها، كما لجأ أيضا إلى التفسير والتحليل، حتى يتمكن من رصد العوالم النفسية للشخصيات الروائية وخفاياها، مع إقامة حوار مع أعماق ذهن الشخصية.
- تنوع أساليب السرد النفسي بين اللفظي وغير اللفظي، فلم تكتف الرواية بالمونولوج الداخلي للغوص في أعماق الشخصية، لكنها رصدت أيضا حالات ذهنية كالذهول والتشتت والهذيان والهيستريا، التي جاءت تلائم الأحداث التي قدمها العالم الروائي.

- منح السرد النفسي بأساليبه المتعددة حيزا كبيرا للشخصيات الروائية، وجعلها تنطق بما لم تجهر به أو ما لم تصرح به، من أزمات وصراعات داخلية.
- إن تشكيل الزمن استدعي توظيف تقنياته الزمنية من استرجاع واستباق، وظفها العالم الروائي كمحاولة لخلق وتجسيد العالم الداخلي للشخصيات الروائية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

- أحمد خالد توفيق: (رواية يوتوبيا)، ط١، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٨م.

ثانيا: المراجع العربية

١. أنور حمودة البنا: (الأمراض النفسية والعقلية)، كتاب إلكتروني، أكتوبر ٢٠٠٦م.
٢. باختين: (الملحمة والرواية– دراسة الرواية مسائل في المنهجية)،ط١، ت: جمال شحيد، معهد الإنماء العربي، بيروت– ١٩٨٢م.
٣. بان ما نفريد: (علم السرد– مدخل إلى نظرية للسرد)، ت: أماني أبو رحمة، ط١، دار نينوي للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ٢٠١١م.
٤. حسن بحراوي: (بنية الشكل الروائي– الفضاء– الزمن الشخصية)، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠م
٥. **جيرالد برنس:**
   - (المصطلح السردي– معجم مصطلحات)، ت: عابد خازندار، مراجعة: محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
   - (قاموس السرديات)، ت: السيد إمام، ط١، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٦. روبرت همفري: (تيار الوعي في الرواية الحديثة)، ت: محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٧. روجر فاولر، (اللسانيات والرواية)، ترجمة: أحمد صبرة، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٩م
٨. عبد العزيز ضويو: (التجريب في الرواية العربية المعاصرة– دراسة تحليلية لنصوص روائية حديثة)،ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٤م

(ISSN: 2536- 9555)

٩. عطيات أبو السعود: (الأمل واليوتوبيا في فلسفة أرنست بلوخ)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٧م.
١٠. فرويد: (الحلم وتأويله)، ت جورج طرابيشي، ط٣، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠م.
١١. ليون ايدل: (القصة السايكولوجية– دراسة في علاقة علم النفس بفن القصة)، ت: محمود السمرة، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٥٩م.
١٢. محمد القاضي وآخرون:(معجم السرديات)، ط١، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، دار الفارابي، لبنان، ٢٠١٠م.
١٣. محمد معتصم: (بنية السرد العربي– من مساءلة الواقع الى سؤال المصير)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،٢٠١٠م.
١٤. محمود غزلان:(تفسير الأحلام)، مكتبة معروف، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
١٥. نور الدين درموش: (النص الروائي من الداخل– مقاربة تلفظية)، عالم الكتب الحديث، أربد– الأردن،٢٠١٤م.
١٦. يمنى العبد: (في معرفة النص– دراسات في النقد الأدبي)، ط٤، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٩م.
١٧. يونغ: (البنية النفسية عند الإنسان)، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار، سوريا، ١٩٩٤م.

ثالثا: الدوريات العربية

١. رباب هاشم حسين: (الأبعاد النفسية في رواية ذاكرة المدارات لناصرة السعدون– دراسة في ضوء المنهج النفسي)، المؤتمر العلمي السادس والعشرون للعلوم الإنسانية والتربوية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق، مايو ٢٠٢٣م.

رابعا: الدوريات الأجنبية

1- UKEssays. (November 2018). Psychological Novel in English Literature | Essay. Retrieved from https://www.ukessays.com/essays/arts/a-psychological-novel.php?vref=1.